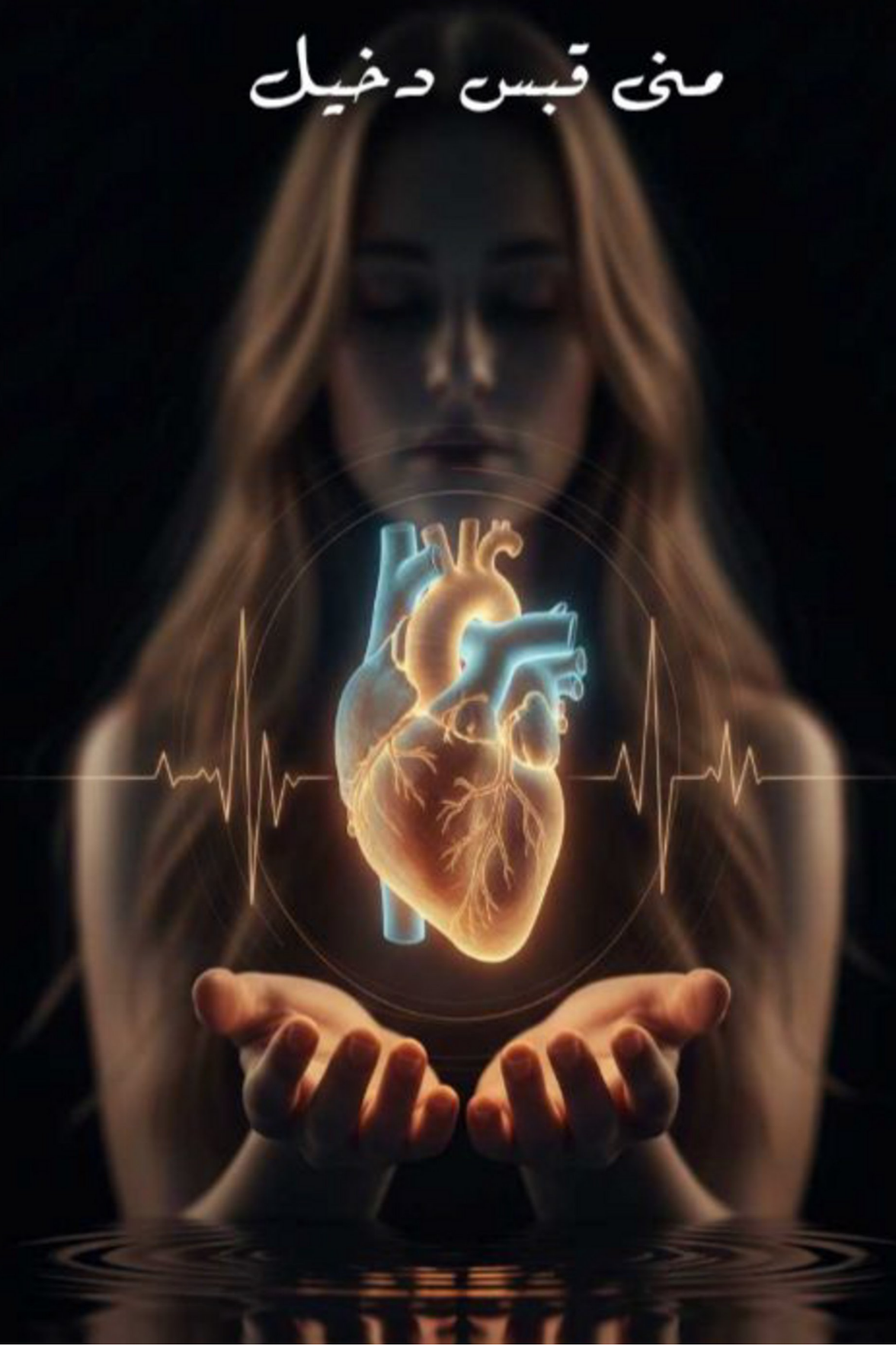


نَبِضٌ مُتَرَنِّمٌ

مَنى قَبَسٌ دَخِيلٌ



"إهداء"

أهدي هذا العمل لنفسي .
لمنى الطّفة والزّوجة والأُمّ.
لمنى الكاتبة.
لمنى في الماضي والحاضر والمستقبل.

"المقدمة"

ضاقَ نَفْسي، وهَرِمَت أناملي، فالتجأتُ إلى
تَمَمّةِ الحروفِ لكم،

عليّ أستعيدُ أَلقي وأتنفّسُ من جديد، فأقدّمُ
لكم خواطرَ من رُوحِي تُحاكي أرواحًا تُشبهها،
فُترجِمُ ما أكتبُ بقلبي وإحساسٍ يصلُ إليكم
مُزركشًا بالورد.

"سراج"

بين جبالِ سويسرا المزركشة بالحياة التي تُشبه
الأحلام، تموضعت قرية جميلة كزهرة نادرة
بين البساتين.

كانت قرية تعج بالفرح والعمل والنشاط،
وأهلها يزرعون أراضيتهم الخصبة ويربّون الأبقار
والماعز الجبلية،

ليكسبوا المال ويؤمنوا سبل العيش المتواضعة
بين طرقاتهم النظيفة. وكانت الخيول تجرّ
العربات لتسمح للقرويين بالتنقل والسفر.
وكانت قريتهم تُضيء بشموع وقناديل، ويطل
عليهم القمر في منتصف كل شهر.

وبين تلك الأنوار يسكن "سراج"، شاب في
الثلاثين من عمره، يعيش مع أمّه المريضة بعد
زواج أخواته ووفاة والده.

وأمام الشرفة نافذة لبيت طيني بسيط، تقطّعه
فتاة فاتنة الجمال في العشرين من عمرها،
تسكن مع جدّيتها المتماسكين القويين رغم أنّهما

بلغا الثمانين من عمرهما.

كانت شفاءً تمتهنّ الرسمَ والغناءَ والموسيقى،
وكان صوتها يجذبُ الطيورَ والفراشاتِ نحوها
كنايِ الراعي السحري، تعلّقت شفاءً بذلك
السّراجِ الذي يرسمُ لها في كلّ ليلةٍ صورةَ رغيْدٍ
دون أن تراه.

أحبّته حبًّا جمًّا، وأصبحت لا تنامُ قبل أن تطمئنَّ
على رغيْدٍ قبل أن يخمدَ نورُ السراجِ الذي كان
شمسًا لحبّها العذري. لم تستطع البوحَ له بحبّها،
رغم أنّه كان ينتظرُها في كلّ صباحٍ لتخرجَ إلى
الحديقة وتبدأ بالغناء، فتغسلَ روحه المتعبة
من ثقلِ الهموم.

وفي يومٍ ماطرٍ من أيّام كانون القارس، هرعت
شفاءً إلى حديقة منزلها المتواضع لتغلق بابَ
الفناء على الدجاجاتِ المسكينة، فهبت ريحٌ
قويةٌ كادت أن تحملها إلى السماء، لكنها أحسّت
بيدٍ قويةٍ تمسكها وتثبتّها كوتدٍ في الأرض.
خافت كثيرًا، والتفتت خلفها لتجدَ حبيبها

رغيد، ففاجأها بحضنٍ أسكنها فصلَ الربيع رغم
المطرِ الغزير، وحملها إلى داخل البيت. جلسا
بجانب الموقد، والكلامُ قد هاجر من أفواههما
ليستقرَّ في الأعينِ والمُقل.

إنَّه القدرُ ساق حبيبين بعاصفةٍ لا تقلُّ شدةً عن
عاصفةٍ عشقهما، تزوّج رغيد بحبيبته، وأنجبا
طفلين يحملان مزيجًا من ملامح وجهين
كالملائكة، لقد كان السّراج رسولًا لحبٍّ اتّقد
بروح بريئة، استحيت البوح وآثرت الكتمان،
فاستجاب الله لدقاتِ قلب أعذر لا يعرف
الكذب و الخداع .

إنَّ الحُبَّ الصادق يُزهَرُ حتى في أقسى
العواصف، ويثبتُ القلوبَ كما تثبتُ الأوتادُ في
الأرض، فلا الرياحُ العاتيةُ ولا المطرُ الغزيرُ
يستطيعان أن يُطفئا نورَ العاطفةِ حين يكونُ
نقيًا وعذريًا، ومن يصبرُ على وجع الانتظارِ،
يُكافأُ بقاءٍ يُحوّلُ الألمَ إلى ربيعٍ دائمٍ في
الروح.

"ستارة"

مجردُ ستارةٍ أعلّقُها على صندوقِ أحزاني،
مجردُ غطاءٍ ملوّنٍ، والفراشاتُ تحومُ حوله من
كلِّ جانبٍ، يسترُّ خيباتي وآلامي.

ابتسامةٌ تسترني وتلُمُّ شتاتي وتُبعدُ أعينَ
الشامتين عني.

ألبسُها بين البشر؛ لأدفعَ عني الأسئلةَ غيرَ
المرغوبة.

أخلعُ ذاكَ القناعَ الذي تعتليه ابتسامتي عندما
أركنُ قلبي للوحدةِ المعهودة، وأعترفُ لنفسي
كم أنا حزينة، وكم وجهي مجعّدُ الفرحِ ومطويُّ
البسمات.

"لعنة الانتظار"

تقفُ بين جذورها المتعبة، وروحها تتصبَّبُ
شوقًا وحبًّا.

تقفُ وسطَ موجاتِ الريحِ العاتية، تُقاومُ ثم
تنحني، ثم تُقاوم، بينما أوراقها الغضةُ الرقيقةُ
في شوقٍ للمساته الدافئة، وحُسنِ السلامِ الذي
يعتنقُها كلما مرَّ ذكره أمامها.

طالَ اللقاء، وزهرتي النصفُ ذابلةٌ تنتظرُ في
محطةِ الوداعِ الأخير.

قاومتِ الجفافَ والبعدَ والريحَ، لكنها لم تستطعْ
مقاومةَ تهشيمِ الانتظارِ لفؤادها الرطبِ بالحبِّ.

أكلها رويدًا رويدًا، ونثرها على جبينِ اللقاءِ
الأخير، وطيفه لم يأتِ بعد.

"عاشقة الشام"

قذفتني الأقدارُ إلى ثقبٍ أسودٍ في جدارٍ
مهترئ، لا أعلمُ كيف وصلتُ إليه!

غسلتُ جفوني من الدهشة، ورممتُ أحداقي
المصدومة، ووثبتُ لأستطلعَ المكان، فإذا بي
معلقةً بين جدارٍ عتيقٍ وسقفٍ عجوز.

نظرتُ خلفي فوجدتُ مكتبةً ضخمة.

سمعتُ صوتًا خافتًا فتبعته، كان صوتُ كتابي
يناديني لأفتحه وأبصرُ نوره.

ترددتُ قليلًا، فناداني أكثر، وعلا صوته.

رَبِّتْ عَلَى صَفْحَاتِهِ بِرَفَقٍ فَاحْتَضِنِي وَقَالَ لِي:
أَنَا كِتَابُكَ، فَاحْمِلِينِي بِيَمِينِكَ كَيْ لَا تَشْقِي
وَتَضْلِي.

لَقَدْ كَتَبْتُ عَمْرُكَ الْمَاضِي، وَأَبْقَيْتُ لَكَ بَعْضًا مِنْ
صَفْحَاتِي الْعَذْرَاوَاتِ كَيْ تَنْثَرِينَ عَلَيْهَا أَيَّامَكَ
الْقَادِمَةَ، وَتَعْقِدِينَ قِرَائَهَا مَعَ النُّورِ وَالنَّصْرِ.

هِيَ، فَلْتَحْمِلِي الرَّايَةَ وَلْتَمْضِي قَدَمًا يَا عَاشِقَةَ
الشَّامِ.

"عالمي الدافئ"

أهمس في أذن الأرض تسبيحي، فتحمله عبّر
عروقها المتصلة بالنسائم المتأرجحة عند
محراب السماء.

تحمل حروفي التي أثقلتها نوائب الحياة
بأجنحة من نور بهي.

أنظر حولي فأرى الأشجار قد أزهرت بفيض
الإجابة، وفاح عبيرها ليعتنقني وينزع الهم من
فؤادي الحزين.

أقف بين أعتاب الوجود، وأدخل إلى لقائي
المعهود، وأطرق باب الرجاء بيدي المرتجفة من
برد الحزن والته، فأدخل عالمي الدافئ
المحاط بالسكينة والبهجة.

أُمسِكْ بين يديَّ كتابَ الله، وأُغتَنِّمْ كُلَّ حَرْفٍ
فِيهِ لِيَكُونَ شَعْلَةً تُضِيءُ قَلْبِي الْعَطَشَ لِكَلَامِهِ
الْعَظِيمِ.

أُفْتَرِشُ سَجَادَتِي، وَأُنْهَمِرُ بِالدَّعَاءِ وَالذَّمْعِ،
فَأَجِدُ فَوْقِي حَبْلًا مِنْ عَطْرِ وَنُورٍ مَعْقُودًا عَلَيْهِ
حَسَنُ الْإِجَابَةِ وَالتَّوْفِيقِ، فَأُطِيرُ كَعَصْفُورٍ خَرَجَ
أُخْمَصَ الْبَطْنِ وَعَادَ بِرِزْقِهِ فَرِحًا بِمَا آتَاهُ اللَّهُ.

"خير الخلق"

تجري الشمس بوجهه، وكأنَّ الجمالَ خلقَ من
يوسفَ الصِّديقِ.

بينما القوَّةُ تُنسَجُّ من وكزةِ كليمِ الله، وينسابُ
من يده البريقُ.

أواه حليمٌ هو إبراهيمُ الخليل، نهضَ بالتَّوحيدِ
من الجهلِ السَّحيقِ، وأنجبَ نبيًّا مباركًا بارًّا به،
قد انصاعَ لمذبحه دونَ جدالٍ أو تحقيقِ.

الصبرُ عنوانُ أيوبَ النبي، باتَ مثلًا في كلِّ
وردةٍ تقطرُ الرحيقَ.

وللخضرِ أخضرتِ الأرضُ بحكمته التي لازمته
كالزفيرِ والشهيقِ.

جمعَ الصِّفَاتِ كُلِّهَا حَبِيبِي المصطفى، فهو
الحكيمُ الصبورُ، والبهِيُّ الجميلُ، القويُّ، القائدُ،
العالمُ، البارُّ، الحليمُ، الصَّدِّيقُ.

فصلُّوا عليه وسلِّموا تسليماً، فهو لكم يومَ
القيامةِ شفيعٌ رفيقٌ.

اللهمَّ صلِّ وسلِّم وباركْ على سيدنا محمَّد وعلى
آله وصحبه وسلِّم.

"حيٍّ من ميّت "

ل طالما كانت صفعاتُ الخيبةِ كماءٍ باردٍ ينهمرُ
فوق وجوهنا ليوَقظنا ويرمينا واثبين فوق
جثثِ اليأسِ المزعومِ.

ل طالما كان الغروبُ رداءً يسترُ عورةَ الوحدةِ،
ويُنذِرُها بفجرٍ جديدِ.

ل طالما كان الرمادُ ثربةً خصبةً لجمراتِ الأملِ
الملتهبةِ.

لا بدايةً موفقةً بلا نهايةٍ جائرةٍ تجتثُّنا من
جذورنا، وتُنبِتنا من جديدِ.

"حبٌ خديج"

ينسابُ ظلُّه بين طيّاتِ فؤادي كما ينسابُ
النسيمُ بين وريقاتِ الأشجارِ الغضة.

أسمعُ صوته يُداعِبُ مشاعري كنغمةِ عشقٍ تُحاكُ
من نسيجِ لحنٍ أسطوريٍّ مفقود.

رحلَ عني دونَ سابقِ إنذارٍ، ولم يتركْ لي فرصةً
للعناق.

لم يتركْ سوى وهجِ النَّارِ التي أضرمَها في
كياني، لتُخبِرَنِي عن حبٍّ كان حقيقةً فباتَ
سرابًا يعتلي جفوني المُرَهَقَةَ بكثرةِ البكاءِ وقلةِ
النوم.

لا سبيلَ للعبورِ نحو مملكته مجدِّداً، فجسورُ
الودِّ انقطعت بيننا لأجلِ غيرِ مُسقى.

وطرُقُ العودةِ باتت وعِرةً وغيرَ سالكةٍ أصلاً.

ما زلتُ أنتظرُ حكمَ الأقدارِ بيننا، وأرجو أن
يرسمنا من جديدٍ بجسورٍ متينةٍ مُكلَّلةٍ باللقاء.

عندما نحمِلُ ذاك الخنجرَ المسمومَ ونُمَرِّزُه فوق
أوتارِ قلوبِ الآخرين، علينا أن نتجرَّعَ ألمه أوَّلاً.

كلَّما هوت كلمةٌ من فاهِك نحو الناس، التقطها
واقذفها في فؤادِك أوَّلاً، وانظرْ ماذا يفعلُ السُّمُّ
بصاحبِه.

ل طالما جرحتَ وقتلتَ ونحرتَ حروفاً مُطرَّزةً
بالغيبة، وأسدلتَها على مسامعِ الناس، وتجاهلتَ
ألمهم، ل طالما وقعتَ في حفرةِ التَّكرارِ ولم
تتعلَّم.

ألم تشعُرَ بأنَّ البشرَ لحمٌ ودمٌ مثلكَ؟
ألا يُؤلمُك ما يُؤلمُهم؟

إذا، أنتَ عالَةٌ على الإنسانيَّة؛ فلتقفِ جانبًا.

"وطني بين صفحتين"

أركنُ رُوحِي بين ضلوعه كقلبٍ نابضٍ بالحياة،
ويربطني بحروفه كما يربطُ الشريانُ القلبَ
بالجسد.

أتسلّقُ بين السطور لأكتشف ذاتي المخبّأة بين
طيّاته، وأجدُ ضالّتي بين النقاط والكلمات.

يحتضنني ويذيبُ صقيعَ الوحدة، ويسحبني
إلى رحمِ الخيال كجنينٍ يقطنُ أحشاءَ أمّه.

كتابي بوابتي السريّة إلى عالمٍ بديعٍ منسوجٍ من
الحبِّ والسلام.

ينيرُ لي ممَرّاتِ الضّعفِ بنورِ الثقة، ويُجلسني
على عرشِ الأدب، ويتوّجني ملكةً لعالمِ الإبداعِ
اللامتناهي، طفلته أنا، وهو وطني وملاذي.

"مدينة الياسمين"

لم أرَ وجهك إلا في عينِ الطفولةِ المبكرة، لكن
جلدي لمس ثرابك وعانق نسماتك.

كان عناقًا دافئًا، ترك في روحي طيفًا رافقني
طوال حياتي.

لازمي وجلس على عرش قلبي.

ذاك العناق أخذ قطعةً من لوحتي ليرممها، لكنه
لم يُعدها إليّ، كان ينتظرني لأعودَ وأستعيدها
بنفسي.

ما زلتُ مثقوبةً الهوية، أرقع روحي بخيط الأمل
حتى ألقى حبيبتني دمشق.

"قدر"

يَمتطِي جَوَادَ الْكِبَرِ أُمَامِي، وَيَغْتَرُّ

إِنَّهُ طَيْفُ الْقَدَرِ

تَرَجَّلُ وَقُم، وَاسْتَلَّ سَيْفُكَ.

وَاجِهْنِي بِقُوَّةٍ، وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ.

هَيَّا، مَاذَا تَنْتَظِرُ؟

سَيْفِي أَكَلَهُ الصَّدَأُ، بَيْنَمَا سَيْفُكَ يَقْطُرُ بِالدَّمِ.

لَسْتُ خَائِفَةً مِنْ مَعْرَكَةٍ لَيْسَ فِيهَا مُنْتَصِرٌ؛ إِنَّهَا
مَعْرَكَةُ بَقَاءٍ وَآثَرٍ.

وثب أمامي، يسألني عن ذاك الطير الذي أسرته

يدي، جاء ليسترده أسيرًا أتاني يرجوني أن

يسكن في كفي كقطرات ماءٍ يجمعها المتوضئ

بكفيه.

قلتُ له: "لقد كان طيرًا مكسورَ الجناح، وعيناه
تنزفان دمًا ممزوجًا بدمٍ.

لقد أطعمته وسقيته حتى التأمت جراحه؛ لكنّه

فقد بصره، واقتادني أسيرةً، يرى بها العالم
بأسره."

ماذا تريد؟

أَسِيرٌ مِنْ أَسِيرٍ، مُعَادِلَةٌ عَقِيمَةٌ دُونَ حُلُولٍ.

تَعَزَّيْتُ مِنْ قَوَّتِي، وَالتَّجَأْتُ إِلَى الْقَوِيِّ الَّذِي
يَمْتَلِكُ الْقُوَّةَ وَالْمَلِكُ، بَيْنَ يَدَيْهِ كُلُّ هَزِيمَةٍ؛ نَصْرٌ
مُؤَزَّرٌ.

فَهَيْهَاتَ لِلْيَأْسِ وَأَقْرَانَهُ أَنْ يَبْلُغُوا أَسْوَارَ قَلَاعِي.

"قارورة الحزن"

أقف أنا وما تبقى مني على شفا الحياة وأنتظر.
أنتظر طيفي المهاجر الذي سكن قارورة الحزن،
وغاب وراء البحار.

هنا سكة القطار، وقد ذابت بنار شوقي، فأمسى
القطار طليق العجلات، يتردى في حفرة وسط
ظلي المنكسر.

هنا رميتُ حقائبي، ومزقتُ جواز السفر لمملكة
الحبّ المزعومة.

هنا تواريثُ عن رحلتي الأخيرة، كما تواري كلَّ
مسافر قبلي:

ستحلّ لعنة الانتظار على عاشقين حتمًا،

فیتعارّون مع اللیالی، حتی تنطوي أفئدتهم

کورقة مثقلة بحبر روی سطورها بطلاسم
الفقد والحرمان.

ستتمزّق أطلالهم وتصبح هشة كجناح فراشة
تتهیّا لدخول شرنقة التحول والخلق الجديد.

هنا وقفتُ كثيرًا حتى نحتُّ من الأرض أقدامًا
تواسي عدمَ اتزانِي، بین ما تمثيْتُ وما انتظرتُ
ممالكُ هُدمت وجیوشُ اندحرت في معاركِ
البقاء.

في معاركِ البقاء، هُزمتُ أمامي وسلّمتُ مفاتيحَ
روضي لأحزاني.

هنا، خلف المرأة الكاذبة كانت النّهاية .

"الحقُّ أقول"

محضُ أساطيرَ لا أكثر، ثرثرةٌ ولغوٌ يترديان من لسانٍ.

سبايا تتزاحم عيونهنَّ نحو مخارجِ القفص،
فترتطم بقضبانهِ الباردة، وتعودُ للخيبةِ مجدداً،
والْيأسُ ينهش جسدَهن بلا رحمةٍ أو شفقةٍ.

أحبُّكِ حبيبتِي، عشقُ هيامِ حروفٍ لقيطةً، دون
هويةٍ، بلا فعلٍ يصحبها ويستر عراءَ وهنِها.

هل باتت قصائدُ الحبِّ ممزقةً في جيوبنا، أم
نامت تحت ثرى الحياةِ ووافتها المنية؟

كانت أبياتٌ يغزلُها الشاعرُ بنبضِ قلبه، فباتت
فخاً للإغواء والخداع.

مجردُ حروفٍ مطعّمةٍ بالسّكر، تُخرّبُ خلايا
الفؤاد، وتمنّيه بحلمٍ بعيدِ المنال، ليتفاجأ بعزائه
المنقوش فوق الفقيـدِ المقتول.

كيف لعذريةِ العشق أن تعودَ دون حمايةِ
الحبيبة من أطماعِ نفيسٍ تخضعُ للملعون؟!

كيف للعاشق أن يكونَ جنديًا إن لم يتحدَّ
المجهول؟!

سيسمونك حتمًا مجنونًا، ما أجملَ الجنون إن
كان قداسةً وخطًا أحمر، يحيط بروحك كشريطِ
حريرٍ يعانق خصرَ عرويسٍ ممشوقةٍ القوام.

سيسمونك أبله، وهل للبلاهة عنوانٌ يقيدها؟!
وهل لها كتابٌ يقرؤه العاقلون؟!

سيسمونك مسحورًا، قل لهم: دعوني أتحبّط
في سحري، إنّ تعويذة الحبّ حطّمت مراكبي،
فاحتضنني بحرٌ عينيها لأغرق وأخرق كلّ
قانون.

"نصفي الضائع"

أجوبُ باحثةً عن نصفي، فيلتصق بي نصفُ
يبحث عن نصفه.

يخالفني، يجادلني، لا يشبهني.

أحبُّ الوردَ فيسقيه وينصرف، وأنا أكلُّ الوردَ
قبل انصرافي.

يحبُّ ما أكره، وأحبُّ ما يكره.

يفضّل الشتاء، وأفضّل الربيع.

يحتسي قهوته مُرّةً، وأنا أكتفي بمرارة الحياة
فأذُرُ فيها حَبّاتِ السكر.

نارٌ هو، وماءٌ أنا، ولا حياةٌ لكلينا من دون ماءٍ
ونار.

كلّما اقتربنا تلاشينّا.

يُبخرني فأطفئه.

لا أدري إن كان نصفي مسروقًا، ونصفه يبحث.

ولا أعلم إن كان اختلافنا حبًّا نجهله.

"انتفاضة"

انبثقت من بين أجداث اللعنة؛ كمقاتلٍ صلبٍ،
وبعزيمة انتفضت.

صارعتُ نيوَبَ الظُّلم من حولها، وعاركثُ
ببِسالةٍ، وقاتلتُ وصمتتُ.

فشعلةٌ قلبها تحتضر، وتحتمي من ريحٍ
لجذورها اقتلعتُ، زيفٌ كذبٌ ونفاق يأكل ربيعَها
كنارٍ في حطبٍ اندلعتُ.

أين السبيلُ، وما المصيرُ؟!

فراشةٌ رقيقةٌ، أجنحتها تمزقتُ، كُفِّي عنها يا
دنيا وابتعدي، فروحها من الحزن انفطرتُ.

كم قال ربِّي في كتابه لها: "لا تحزني"، أَعَن
آياته آذانكم صممت؟

وكم أوصى بها الحبيب قبل رحيله، فأين
المجيب لدموع انسكبت؟!

قال عنها: "رفقًا بالقوارير"، فقلتم: بل ناقصة
عقل ودين للِّبنا سلبت.

قال عنها: "عوانٌ عندكم"، فهلّا ترفقتم بأسيرة
لكم خضعت؟ يوم التغابن لله ستشتكي،
فترقبوا، إنَّ الشَّمْسَ من مغربها طلعت.

الويلُ لكم، كم جرحتموها باللسنة سليطة،
فؤادها اخترقت.

عثتم فسادًا بأرض خصبة، وقطفتم زهورها بعد
أن أينعت.

أم، أخت، زوجة، وبنت هي أمانة في أعناقكم
قد أودعت.

أحسنوا إليها ولا تُسرفوا وتظلموا، فالويلُ لكم
إن ثارت وغضبت.

"نقطة النهاية"

دخلتُ بيتَ علاماتِ الترقيمِ ضيفَةً؛ فسألوني:
ماذا لو كنتِ علامةَ ترقيمٍ مثلنا؟!

أيّ علامةٍ ستختارين؟! ولماذا؟!

أجبتُهم بابتسامة: أريد أن أكونَ نقطةَ آخرِ
السّطر.

صمت الجميع، وعيونُهم تحدّق بي وتقول: لِمَ
النقطةُ يا ثرى؟!

قلتُ: أحبُّ أبعادَها المغلقة، أقطارَها المتساوية،
مهمّتها النبيلة، سأضع نفسي كبقعةٍ ضوئيةٍ ضائعةٍ
تربط النصوص، وتجازف لترتيب الصفوف.

تقف كجنديٍّ يتصبَّب عرقًا تحت أشعةِ الشمس
في الصيف، وتتجمَّد عروقه من شدةِ البرد في
الشتاء، ساكون النهاية لكلِّ شيء، وصمَّام الأمان
للسطور.

سأعلِّق كلَّ الحروف خلفي كأعلامٍ نصرٍ ترفرف
فوق تلالٍ خضراءٍ يافعة.

قبلي كلُّ شيء، وبعدي لا شيء.

نقطة، وانتهى كلُّ شيء.

"نعم البيع"

سأشتري نفسي، ولن أذرّها في خضمّ التّيه مرّةً
أخرى.

سأشتري نفسي، وأبيعها لقلبي المُناطِ بسياجِ
الحبِّ والسكينة.

وقعتُ الموائيق، وأبرمتُ العهودَ، لقد أصبحتُ
ملكَ نفسي، سأطلقها لتتسلّق جبالَ التأمّل دون
حبالٍ، دون أيّ مساعدةٍ!

سنجلس كثيرًا، ونعزف لحنَ العزلة المتوارثِ
منذ زمنِ الغفاري.

لا تقلقي يا نفسي، وهيا فلنحتسِ القهوة.

هيا نكتب سطورًا، ونعلّقها على جدرانِ الذاكرة
ليخلدها التاريخ.

هيا لنُحلق بعيدًا عن بني البشر.

لم تراودني نفسي، يا لها من نفسٍ لوّامةٍ
أتعبتني.

سأمزّق العهودَ والعقودَ، وأبيعك أمةً يا نفسي،
لن تَقَرَّ لك عينٌ وأنت جامدةٌ في جنحِ المآسي.

سأبيعك لمن يشتريك، ويفكّ عُقدَك، ويحلّ
وثاقَ اليأسِ في قراراتِك.

ستنعمين براحةٍ أبديةٍ لم تتذوّقيها من قبل.

لقد بُعثت أمةً لله، فنعّم البيعُ ونعّم الشراء.

"تَبَّأَ لِحُرُوفِكُمْ"

لا وربي،
لا ومعتقدي
لا وإيماني.

لن أقبل بكلمةٍ تقتحم أسوارَ كرامتي؛ لقد
أزهقتُ روحَ التهاون، والعفو في قاموسِ
حياتي.

أعلنتُ انتفاضتي، وسيفي قد خرج من غمده،
ولن يعود قبل أن تغتسلَ الأوراقُ بدمِ حروفِكُمْ
المسمومةِ التي اخترقتني.

ترقبوا، انتظروا موجَ بحري الغاضب؛ فوجهُ
المعارك يتصدّر الموقف.

ستندمون على ما اقترفتُ ألسنتُكم بحقي؛
ستعتذرون حين يفوتكم قطارُ موَدَّتِي.

لن تعبروا إلى هالةِ رُوحِي مجدِّدًا؛ فالتذاكرُ
انتهت وضاع الوقتُ بين النِّعم واللا.

ما زلتُم في الأعراف، وما زلتُ أنظر إليكم،
وعيونُكم تستنجدُ جَنَّتِي.

تجنّبوا ناري؛ فالأعرافُ تنقذكم، والجنةُ بعيدةٌ
عنكم.

"روح عارية"

براءةٌ منك، أعلنُها على الملأ.

بدت بيني وبينك الحربُ مشتعلةً، رغم اتّباعي
لك.

ألم تسأمني من الظنِّ الحسنِ والتماسِ الأعذار؟!

ألم تتبعثري من الزلازلِ المتكرّرة؟! ألا ترين
البؤسَ الذي اعتراكِ جرّاء ما تفعلين؟!

سأترك عارية الروح كما أحببت، سأبحث عن
انعكاسي في جسد لا يملك بصراً من حديد.

لكن قبل أن أرحل وأبدأ معركتي، عديني أن
تلتحفي الدعاء ليرمم جراحك، ويدفئ قلبك من
برد سيفزو قلاعك قريباً.

تبرأت من براءتك المفرطة؛ لأتجنب الأذى
وأقاتل بدموع جندي مجهول، لكن القتال لا
يعني أنني لم أعد أحبك.

"احتضار شمس"

في ذاتِ غروبٍ يكسوه الرتابةُ، حيث اللحظاتُ
كانَّها توأمُ خيبةٍ قديمةٍ.

تتسلَّل هجماتُ الشَّهادِ إلى عيوني، لا كأرقٍ عابرٍ،
بل كمحاربٍ يفتِّش عن بقايا حلمٍ مكسورٍ.

المدُّ العنَّابيُّ يزحف على عنقِ البحر، كأنَّه نزيْفُ
شمسٍ تحتضر.

يراوِدُ الرملَ عن صمته، ويُغريه بالكلامِ والبوحِ،
لكنَّ الوجومَ يظلُّ سيِّدَ الموقفِ.

كُلُّ شَيْءٍ سَاكِنٌ، حَتَّى الرِّيحُ تَبْدُو صَمَاءً
وَمَقْطُوعَةً الْأَطْرَافِ.

كَأَنَّ الْكَوْنَ بِأَسْرِهِ يَنْتَظِرُ اعْتِرَافًا مِنْ قَلْبٍ أَنَّهُ كَهَ
التَّوَقُّعِ إِلَى مَعْنَى.

أَكْتُبْ لَا لِأَفْصَحَ، بَلْ لِأَقَاوِمَ، لِأَعِيدَ تَرْتِيبَ
الْفَوْضَى فِي دَاخِلِي.

فَرَبَّ كَلِمَةٍ تُنْقِذُ مَا عَجَزَ عَنْ إِنْقَازِهِ الصَّرَاحُ
وَالدَّمَغُ وَالرَّجَاءُ.

أَكْتُبْ لِأَعِيشَ، فَقَلَمِي رِئْتِي وَتَنْفَّسِي وَهَوَائِي.

"غروب شمسين"

أتلفني الغروبُ واجتثني الوداعُ، فرسمني قدرًا
للعذابِ والأنين.

أصارغُ نفسي لأمنعها من البكاءِ الأليم،
وتصارعني لتحملني إليه دونَ إرادةٍ.

حالي وحالُ الأرضِ واحد؛ كلانا يودّع شمسَه
وينحني.

لا تذهبِ لوحدي، وصورتك خلفَ النافذةِ معلقةٌ.

اذهبِ وخذ قلبي، وعلّقه قلادةً على صدركِ
ليستمرَّ نبضُه ويتنفس عند الشروقِ من جديد.

"الرقصة الأخيرة"

في ذات ليلة، وبين أشجار الليل النائمة،
سنرقص رقصتنا الأخيرة.

سأحتضنك بين ثنايا قلبي، ويلتحفك ثوبُ
الوداع الأخير.

سنرقص وعيوننا متشابكة، بينما القلوب تصيحُ
من ألم الفراق.

بين تلك الأشجار سأقتل ذاك الحب المسموم،
وأدفنه بين خيوط الفجر الأولى؛ لأعلن على
الملا:

لست مقيّدةً بعد الآن، ولست أنا أنعم ببقايا
الذكرى، وألفظ أنفاس الرجاء بالعودة.

"غيمة عقيمة"

غيومٌ على الجبهةِ متلبّدةٌ، والأمطارُ لا تهطل.

البصرُ متجمّدٌ ومتعلّقٌ بحبالِ الوهمِ التي تشبهُ
خيوطَ العنكبوت.

محاصرةٌ أنا بينَ اللا والنَّعم، بينَ الوعي
واللاوعي، بينَ الخيال والواقع.

هل سأنجو من غياهبِ الوساويس المتراكمة؟

هل سأقبع في وديانِ التخبُّط أم سأعود كما
كنتُ؟

أشعر بأيادٍ متعفّنة العروقِ وكريهة المنظرِ
تحاول جرّي إلى عالمٍ مظلمٍ ومخيفٍ.

أيادٍ باردةٌ ولها مخالبٌ تجرّحُ الأمانِي وترتكبُ
جريمةَ الوادِ لأفكاري الطّازجة.

صورُ الذاكرةِ تتطاير حولي وتقودني إلى غيمةٍ
عقيمةٍ تبتلعني لتلدني من جديد، وأنا متجردةٌ
الروح، باردة القلب، ومقطّعة الأوصال.

"لوحتي"

تراقصت نسماتُ الهواءِ بين أحيالي الصوتيّة
كيدِ عازفٍ عتيقٍ يرسم لحناً على وترِ العود،
فيُطربُ القلوبَ.

كانت ألحاناً راقصة أجسادها من نورٍ.

هرعتُ إليها لألبسها ألواني المقتبسة من رحمِ
الطبيعة الأم، فباتت لوحةً ملوّنةً تتنفسُ الحياةَ
وتنسبُ بخطوطٍ متّصلةٍ بدايتها من بين أوتاري
ولا آخرَ لها، لأنها تعبرُ زمنَ الإبداعِ إلى ما لا
نهاية.

"روح غارقة بالألم"

ظل يتكاثر في العتمة،
ليس موتًا ولا حياة،
بل سؤال يتردد في الفراغ:
أي معنى يبقى حين يرحل المعنى؟

مرآة مكسورة،
كل شظية منها تحمل وجهًا غائبًا،
كل دم مسكوب يكتب نصًا لا يُقرأ،
كان الحرية لا تُمنح،
بل تُنتزع من بين أنياب العدم.

الغياب هنا ليس غيابًا،
إنه حضور آخر،
حضور يتسلل في الأصوات المقطوعة،

في الأسماء التي صارت جذورًا،
في الأرض التي ترفض أن تُشفى من جراحها.

الفقد في الثورة قصيدة بلا وزن،
جرح بلا نهاية،
وصرخة بلا صدى،
لكنها تظلُّ تقاوُمُ،
تظلُّ تُعيدُ تعريف الحياة،

كأنها تقول:

الحرية ليست زمنًا،
بل معنى يُكتب بالدم،
ويُقرأ بالغياب.

"سارية وجمير"

بَيْنَ جُنْحِ الظَّلَامِ وَسَجَايَا اللَّيْلِ، هُنَاكَ فِي
الغَابَاتِ الْعَتِيقَةِ حَيْثُ الْأَشْجَارُ الْمُعَمَّرَةُ وَالشَّابَّةُ
وَالطُّفْلَةُ تَعِيشُ ضَمْنَ مَجْمُوعَاتٍ وَاثِبَةٍ تُعَانِقُ
خَصَرَ السَّحَابِ، كَانَتْ عَائِلَاتُ الْأَشْجَارِ رَفِيعَةً
النَّسَبِ تَسْكُنُ وَسَطَ الْغَابَةِ حَيْثُ الْيَنَابِيعُ
وَالْأَنْهَارُ، بَيْنَمَا الْأَشْجَارُ الْفَقِيرَةُ وَذَاتُ النَّسَبِ
الْمُتَوَاضِعِ تَعِيشُ عَلَى أَطْرَافِ الْغَابَةِ تُعَانِي مِنْ
قِلَّةِ الْمَاءِ وَجَفَافِ الثَّرْبَةِ وَانْقِطَاعِ الْوَصْلِ بَيْنَ
الْعَائِلَاتِ الْأُخْرَى بِسَبَبِ الصَّخُورِ وَانْحِدَارِ
السُّفُوحِ الْجَبَلِيَّةِ. وَمِنْ بَيْنِ هَذِهِ الْعَائِلَاتِ الْفَقِيرَةِ
كَانَتْ هُنَاكَ عَائِلَةٌ تُسَمَّى عَائِلَةُ الْفَسِيلِ، وَهِيَ
عَائِلَةٌ صَغِيرَةٌ وَفَقِيرَةٌ لَكِنَّهَا تَمْتَازُ بِبَنِيَّتِهَا الْقَوِيَّةِ
الْمُقَاوِمَةِ لَانْجِرَافِ الثَّرْبَةِ وَالْجَفَافِ وَالظُّرُوفِ
الصَّعْبَةِ.

تتألف العائلة من سبعة أفراد: الجدَّة بَهار، والجدُّ
لِحاء، والابنُ صبور وزوجته راضية، وأولادهم
سارية وبُران وذهيق. كانت الجدَّة حكيمةً جدًّا
وحديثها لا يُملُّ، كلُّه حكمةٌ ورزانةٌ ونُصحٌ، لكنَّها
كانت تتعبُ حينَ تقصُّ القصصَ بسببِ تقدُّمِها
في السنِّ وظهورِ التَّجاعيدِ البارزةِ على لحائِها
شبهِ المتيبِّسِ، ومع ذلك كان قلبُها ينبضُ بالخيرِ
والعطاء، وكانت رئةُ العائلةِ وعنقودَ الذهبِ في
عَريشةِ الحِكْمةِ، ضَمَنَ سُلالةِ الغاباتِ ذاتِ البنيةِ
القويَّةِ التي تَمُدُّ المدينةَ والأريافَ بالهواءِ النقيِّ.
أحَبَّت زوجها لِحاءَ بشدَّةٍ حتى باتت تَميلُ إليه
منحنيةَ الظهرِ كما يَميلُ إليها ليسندَ ضعفَها
وقلبَها العاشقَ، وكانا يَحْتَضنانِ بعضُهما
ويَلْتَصِقانِ بقلبِ الهوى المرسومةِ على أغصانِهما
المُتقهقرةِ.

وفي ذاتِ صباحٍ نادَت الجدَّةُ حفيدتها سارية
وقالت لها: "يا ابنتي، هناكَ أَيَّامٌ ثِقَالٌ ستمُرُّ

عليك، أراها كما أراك الآن، فاصبري وصابري." كان أبوها وأُمُّها وإخوتُها والجَدُّ يَستمعونَ وأوراقُهم تهتزُّ من الصَّدمة، وكلُّ منهم يُزاحمُ بأسئلته، والجَدَّةُ لا تُجيبُ بل تكتفي بالصَّمتِ. وانتهى الحديثُ بلهيبٍ يقتربُ من الغاية، فصرخ الجميعُ من الخوفِ وهم يُناجونَ الخالقَ بالنجاةِ والرَّحمةِ، لكنَّ الجَدَّةَ لم تكن خائفةً البتَّة، بل كانت تبتسمُ وتقولُ: "اصبري يا سارية."

اقتربت السنةُ اللهبِ أكثرَ لكنَّها لم تُؤذِ أحدًا، ونظرت نحو سارية بنظراتٍ كُلُّها حرارةٌ وحبٌّ ولهبٌ أحمرٌ قانئٌ، فقالت سارية: "ما اسمُك أيُّها اللهب؟" فأجاب: "أنا جُمير." فقالت الجَدَّة: "لماذا أتيتَ إلينا يا جُمير؟" فقال: "أتيتُ بريحٍ قذفتني لقدري هذا." فسألتها الجَدَّة: "ماذا تقصد؟" فأجاب: "لقد أحببتُ ساريةَ وأريدُ الزَّواجَ منها." فصاح الجميعُ بفمٍ واحدٍ: "ماذا؟!"

لكن سارية قاطعتهم وقالت: "أنا مُوافقة." صدم الجميع بقرارها، لكنَّ الجَدَّة هَدَّأت من روعهم وقالت: "دعوهما، فهما مكتوبان لبعضهما." فصمت الجميع والحزنُ يَسْكُنُ جذورهم الباكِية، لكن لا كلامَ بعدَ كلامِ الحكيمَةِ.

تمَّ الزواجُ وسكنَ جُمير معهم، وباتت قصَّتُهم شائعةً بينَ كلِّ الأُسلافِ والعائلاتِ كأغربِ قصَّةٍ يُسمعونها. وبعدَ أشهرٍ حملت سارية وكان الجميعُ فرحًا بالخبرِ ينتظرونَ المولودَ، فحملت بشمعةٍ جميلةٍ جدًّا، وفرحت العائلةُ كُلُّها بالمولودةِ الجديدةِ التي سكنت في جوفِ أمِّها الشجرةِ سارية وتحت كنفِ جُمير. كانت شمعةٌ لا تنطفئُ أبدًا، شمعةٌ أملٌ لكلِّ عاشقٍ وعاشقةٍ تحدِّيا كلِّ العواقبِ والشدائدِ من أجلِ حبِّهما، وقد خلدَ التاريخُ قصَّةَ تلكَ الشمعةِ التي باتت رمزًا لكسرِ القواعدِ وانتصارِ الحبِّ في زمنِ المعجزاتِ.

"يبقى الأمل"

عروة وثقى أتشبت بها فتثقلني الهموم وأتمايل
كورقة خريف قُضي أجلها .
أمسك بذاك الخيط المُتبقى لأنقذ ماقد بقي
مني .

هل حقًا سينقطع خيط الأمل ؟
سأبقى بالعراء ؟
سأسقط وأتمزق ؟
لعلّ الله سيحدث بعد ذلك أمرًا .

"محطات"

قطارٌ من ورق
ذوّبته قطرةٌ مطر
ضباع .

"أنين وتر"

قيثارةٌ تبكي ...
ألحانٌ مغمّسةٌ بالفقد..
قلبٌ نصفٌ ميّت ..
وترٌ مقطوعٌ يأنّ بحرقه ...
يدُ العازف مشلولة..
قيثارةٌ تبكي ..

"مصير"

انتفاضة الزيتون تتنفس
قيامه البرتقال تُؤجّل
الياسمين في العناية المُشدّدة
ستارة المسرحية ممزّقة
والجمهور نائم
يحلم بفوز دون عناء
فوز على طبق
من فضّة
يُدقّ جرس النّهاية
وما زال الجمهور نائمًا
يحلم و يحلم .

"سكّين ليّنة"

بين جفنٍ وحدقةٍ برق
أيقظ روعي واحترق..
سألتُهُ من أنت؟
قال: أنا قاتِلُكَ .
وسكّيني من ورق .

"خِلْسة"

كلماتٌ حمراء
في ليلةٍ سوداء
رسمت خطوة
نحو الثُّراب
وردةٌ صفراء
على قبرٍ حبيب

"المظاهر خدّاعة"

ولود باطنّها، عقيمّ ظاهرها
فليس كلّ ما تراه حقيقة .

قد تكون البدايات مُؤلّمة
لترسم لكّ نهاية أجمل .

فالشّجرة خيرها بثمرها.
بينما الأوراق زينة للثمر

"قيودٌ وأمل"

جرّهُ القدر لظلماتٍ ثلاث، درجٌ مهترئٌ وغرفة
مُظلمةٌ ودفتر باردٌ السطور .

قيدتُهُ الأقاويل فبات ينام على حافةِ الحلم
ويخشى السَّقوط في اليأس .

سجينٌ وسجّان في قيدٍ واحد لكنّ الفرق بينهما
نوعية السّلاسل .

سلاسل من كلماتٍ كخناجر مسمومة تطعن
القلب .

وأخرى من عجز مغموس بصدأ النسيان .
كلمة واحدة كانت مفتاح لباب النور المُنتظر .
كلمة واحدة تصفّع القواعد وتربيها كما ينبغي .
حطّمت القيود ونسفت السّلاسل؛ فنبت الأمل
وتحرّر السّجين والسّجان .

"وليدُ العراء"

في ثلاثة فصولٍ أعيش وأفتقد الربيع .
صقيعٌ يستوطن جلدي وغيثٌ يكسو عرائي.

طفلٌ عجوزٌ أنا والخريفُ الهرم يسكنني.
أبعدُ عن ضعفي بعضَ الألم فأصيرُ ريشةً في
جسدٍ فرخٍ مات عنه أبويه.

من يميني رجفةٌ جوعٍ ومن شمالي عراءٌ بين
خزائنِ الثيابِ المُرَقَّعة.
لا أملك سوى قلبٍ رطبٍ بالسَّلام ومظلةٌ نصف
مُهترئة.

"حقبة النور"

فتيلُ تيهِ بعنقِ بيدا ئي قد اشتعلَ.
قفارُ قلبي آثرت الاستسلامَ للقدِرِ، وأسوارُ
روحي تساقطتْ على حينِ غرَّةٍ، وباتَ الفؤادُ
معلقًا بالعراءِ وهو سقيمٌ.
جذوةُ عشقٍ لاحتْ بالأفقِ،
شمسُ الهوى أشرقَتْ، وغيومُ الحزنِ انقشعتْ.
تركْتُ بنياني وأسواري ومملكتي، وهرعتُ
لأقطفَ الحبَّ من روضِ عالمه الوردِيِّ.
ذابَ الصقيعُ وذهبَ الوهنُ، وأبدلَ القلبُ حلَّته
بزخرفٍ وزركشةٍ عتيقةٍ.
كلَّتْ حقبةُ السوادِ بألوانِ النورِ والأقمارِ
المسافرةِ نحو المستقبلِ.
تَوَجَّني ملكةُ قلبه، وتَوَجَّتهُ ملكُ روحي.

"نصفُ فراق"

عند مفترقِ الفُراقِ وقفنا، وألستُنَا تُناقِضُنَا بينما
القلوبُ تبكي.

تلَوْنِ المشهْدُ بلونِ العجزِ الَّا إرادِي، وتبدَّلَ
فصلُ الرِّوايةِ، وباتتِ النِّهايةُ غيرَ مرئيَّةٍ.
جسدانِ يفترقانِ وأرواحُ مُلتصقةً.
سأذهبُ وأتركُ رُوحِي مُعلَّقةً على عنقِكِ الرَّقِيقِ.

سأذهبُ وأتركُ قلبي نائمًا في كَفِّكَ المُخَضِّبةِ
برائحةِ الجوى.

لماذا لا نرجعُ كما كُنَّا؟

لماذا لا نرجعُ للفصلِ الأخيرِ؟

هكذا شاءَ القدرُ، وهكذا الكبرياءُ أمرَ.

"مؤجلة الدفن"

ليت وصالك دائماً ووصال الأنام مقطوعاً،
ليتني بذور عشقٍ متناثرةً في تربة فؤادك،
تزرعها فتنبث روضاً ووردًا وعناقيد عنبٍ
ورُمانٍ وريحاناً.

ليت الساعة تهدمُ كوخ الوحدة الذي علَّقته على
خصر عقاربها المنسيّة.

غادرثني دون وداعٍ أو وعدٍ بقاءٍ، لكنك لم تغادر
لوحدك.

أخذت معك قطعةً مني كانت تلتحفني لتواري
ثوبَ ضعفي المُرَقَّع.

مالك ومال ثقوبي لتزيد في خرقها، فينفد من
بين العروق طيفك المُتسلِّل من ضريح ذكراك.

أَيْنَ تِلْكَ الْأَسْقُفُ وَالْجُدُرَانِ الَّتِي أَحَاطَتْ
عِرَاءَنَا؟

أَيْنَ دُمُوعِي الَّتِي تَبَخَّرَتْ بِجَمْرَةِ الْفِرَاقِ الَّتِي
أَشْعَلْتُهَا فِي صَدْرِي؟
أَيْنَ أَنَا؟

لَا أَجِدُ انْعِكَاسِي فِي مِرَايَا الْحَيَاةِ،
لَا أَجِدُ بَرِيقَ عَيْنِي الَّذِي رَشَقْتُهُ بِنَظَرَاتِكَ
الرَّؤُومَةِ.

لِلَّهِ دَرْكٌ وَدَرْ هَذِهِ الْمَضْغَةِ الَّتِي جَرَّتْنِي إِلَيْكَ
مُكَبَّلَةً الْأَيْدِي.

إِنِّي سَقِيمَةٌ وَمُقَطَّعَةُ الرُّوحِ بَانْقِطَاعِكَ وَتَلَاشِي
زَحَامِ كَلِمَاتِكَ الْوَرْدِيَّةِ.

إِنِّي جَثَّةٌ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ، مُؤَجَّلَةٌ الدَّفْنِ، وَبِلا
قَبْرِ يَحْضُنُنِي وَيَلْمُ رُفَاتِي.

"حنيفة الظهر"

تراكمت المنايا فوق ظهري الهش حتى حطمت
مرايا الفرح المركونة فوق وجنة الورد في
وجهي .

كلما انحنيت؛ تنهمر قطعي المتبعثرة فوق
انعكاسي المكسور فثريني وجهي الذي غزاه
الهرم في ريعان شبابه.

شاخت عروقي وتناثرت كغبار الطلع حين
تتناقله نسماث الربيع لكنه لا يُنجب .
كان عقيماً، بلا ذرية، بلا أثر .

كان هباءً منشوراً، يذوق مرارة الحرمان بعد
تيئيس رحم السلام والأمل بجوفه.

ينام وجفونُ الليل تنسدل على أكتافه المُتقهقرة
كجندي ناجٍ من معركة لا ناقةَ له فيها ولا جمل

لكنّه نجا وبعضًا منه في ساحة الوغى .
ناجٍ لكنّه مقطوعُ اليدين ومسلوبُ الهوية

كم أتألم حين تتساقطُ قطعي أمامي فترتصفُ
كمرأةٍ نصف مكسورةٍ لثُرَيَّني وجهي المُتواري
عني منذُ سنين .

تتساقطُ بجروحٍ عميقةٍ تُخلفُها دونَ قطرةٍ دمٍ
واحدة .

خسرتُ دمي مع آخرِ دمةٍ جفّت على ضفافِ
ملامحي الجافة .

"موتٌ رحيمٌ"

يَقِفُ عَلَى ضَفَّةِ الْأَمَانِ بِحَلَّتِهِ الْأُنَيْقَةِ، وَيَتَفَيَّأُ
بَشَجَرَةِ الْحَيَاةِ الْمُخْضِرَةِ الَّتِي تُدَاعِبُهُ بِأَوْرَاقِهَا
الْخَضِرَاءِ الْمَلِيئَةِ بِرُوحِ النَّعِيمِ.
إِنَّهُ قَدَرِي، قَدَرٌ رَوْوَمُ الْقَلْبِ وَبَهِيُّ الطَّلَعَةِ.

تَذَوَّبُ جَفَوْنُهُ كَوَرَقَةٍ بَلَلَتْهَا قَطْرَاتُ الْمَطَرِ،
فَاخْتَلَطَ الْحَبْرُ وَضَاعَتِ الْقَوَافِي، وَذَابَتِ النَّقَاطُ
الَّتِي تَعْتَلِي رُؤُوسَ حُرُوفِهَا.

يَرْمُقُنِي بِنَظَرَتِهِ الْمُعْتَادَةِ بَيْنَمَا الْغَرَقُ يَكَادُ أَنْ
يَقْضَ مَضْجَعِي وَيُمَزِّقَ آخِرَ نَفْسٍ فِي صَدْرِي.
نَادَيْتُهُ: أَيَا قَدَرِي، أَيَا نَاطِرِي وَمُشْفَقِي.

فُكَّ قَيْدَ الْمَوْتِ عَنْ عُنْقِي، وَأَرِقَ دَمَ قَاتِلِي.

امنحني قبله حياةً أخيرةً لأُخلِّدَها بينَ شرايينِ
ضعفي المُقطَّعةِ.

لم يُجبني، لكنَّهُ ارتدى قناعَ الحزنِ، وأخرجَ حبلاً
معقوداً من جيبهِ الثَّريِّ وألقاهُ نحوي.

كنتُ أصارعُ الموتَ ويديّ ترتجفانِ، والماءُ
يسحبُّني إلى رحمِ النَّهرِ.

ما زالَ الحبلُ يحملُ رائحةَ جيبهِ الثَّريِّ، وما
زلتُ أحاولُ فهمَ ما يجري.

ما زالَ يَبْكيني، وما زلتُ أبحثُ عن بدايةِ الحبلِ
ونهايته.

كانَ قدراً وفياً، وحاولَ قتلي بحبلٍ مُكبَّلِ الخيرِ
ومعقودِ الأطرافِ، لكنَّ الماءَ كانَ أرحمَ منه،
وعانقني عناقه الأخيرَ.

"رکنُ قصي"

في ركنِ قصيٍّ من المدينة، جلسَ رجلٌ
خمسينيٍّ على درجٍ حجريٍّ، يضمُّ بينَ يديه
صورةً باهتةً لابنه الغائبِ.

كان الغروبُ ينسكبُ على وجهه كمدٍّ عنابيٍّ،
يلوّنُ التجاعيدَ بحمرةِ الحنينِ.

مرَّ به صبيٌّ صغيرٌ، يركضُ خلفَ طائرةٍ ورقيةٍ،
فضحكَ الشيخُ ضحكةً قصيرةً، ثم قال:
"يا بُنيَّ، لا تُسرِعْ في الطيرانِ، فالريخُ لا تُؤتمنُ،
وقد تُسقطُك حينَ تفرحُ أكثرَ."

تَوَقَّفَ الصَّبِيُّ، نَظَرَ إِلَيْهِ بِاسْتِغْرَابٍ، ثُمَّ تَابَعَ
رَكَضَهُ، لَكِنْ بَخَطَّى أَهْدَأَ.

عَادَ الشَّيْخُ إِلَى صَمْتِهِ، إِلَى وَجُومٍ لَا يُكْسَرُ، كَأَنَّ
الْحَيَاةَ عَلَّمَتْهُ أَنَّ الْفَقْدَ لَا يُشْفَى، بَلْ يُتَعَايَشُ
مَعَهُ.

وَفِي عَيْنَيْهِ، كَانَ الشُّهَادُ مُقِيمًا، لَا كَارِقٍ، بَلْ
كَذَاكَ لَا تَنَامُ.

وَهَكَذَا، ظَلَّ هُنَاكَ، لَا يَنْتَظِرُ عَوْدَةً، بَلْ يُعَلِّمُ
الصَّمْتَ كَيْفَ يَكُونُ نَاطِقًا بِالْعِبَرَةِ.

"بين التّراق"

أستبقُ بابَ الصّبرِ فيقدُّ ضلوعي البالية من قُبُلِ
وأرثي وهنَ رُوحِي فتسكبنِي غيثًا في السُّبُلِ.

لا أملكُ لبوحِ الجراحِ طريقًا تسلكُهُ سوى الأملِ.
أُبَلِّسُ به خدوشَ الجوى بجوابٍ يبدو مُحتملاً.
فتنتفضُ كطيرٍ مذبوحٍ تُفيضُ من حالِهِ المُقلُّ.
أيا رُوحِي هَلَّا مكثتِ بينَ التّراقِ وتركتِ العَجَلَ.

فأبياتُ شعري قُضي أمرُها وجفَّ بحرُها بالعللِ.
والكتمانُ باتَ مظلةً الأمرِ يحمي أوراقِي من
البللِ.

"حنين"

في إحدى القرى الجميلة المحاطة بعناقِ الطبيعة، بينَ التلالِ والسهولِ الخضراءِ، وعندَ نهرِ الحنينِ المشهورِ في تلكَ المنطقة، سكنتُ فتاةً مميّزةً مع عائلتها الصغيرة.

كان بيتُها من ألواحٍ خشبيّةٍ دافئةٍ تحملُ رائحةَ الحبِّ الممزوجةَ برائحةِ الصنوبرِ والسنديانِ. لها أبوانِ حنونانِ وأختٌ اسمُها سهادُ.

تلكَ الفتاةُ المميّزةُ التي كانت تحملُ اسمَ النهرِ "حنين"، فتاةٌ رائعةٌ وخجولةٌ، تتجنّبُ الاختلاطَ مع الأطفالِ بسببِ وجودِ قطعةِ جبنٍ تُحيّطُ عينيها، كوشمٍ ثلاثيّ الأبعادٍ يستوطنُ وجهها الطفوليّ البريء.

كانت تكتفي باللعب مع سهاد، وبقراءة الكتب
والرسم، بينما أختها الكبيرة سهاد تحب أن
تساعد أمها في إعداد الطعام وأعمال المنزل.

كان عمر ورويدا ينظران إلى حنين نظرة حب
ممزوجة بقلق؛ فابنتهما تتجنب اللعب مع
الأطفال بسبب تنمرهم عليها ومناداتها بـ "فتاة
الجبين".

وكلما كبرت حنين عامًا، ازداد خوفهما أكثر
فأكثر.

وفي يوم من أيام الشتاء العاصفة، هبت ريح
قوية عاتية، اجتاحت القرية وعمت الفوضى
أزقتها، والخوف ملأ المكان.

هرع عمر لتثبيت سقف المنزل الضعيف، لكن
الريح كانت أقوى منه وأشرس، فرفعته عاليًا
ورمته على الأرض قتيلاً.

بينما عائلته تنتظره، والهواء يزارُ كَأَسَدٍ جائِعٍ،
والخوفُ يعمُّ المكانَ.
وبعدَ مرورِ ساعاتٍ توقفتِ العاصفةُ، لكنَّ عمرَ لم
يأتِ بعدُ.

ما العملُ؟
ماذا حلُّ بك يا أبي؟
ماذا حلُّ بك يا زوجي؟
هكذا قالتِ العائلةُ.

خرجوا للبحثِ عنه دونَ جدوى.
قالت حنينُ: "سأذهبُ إلى النهرِ، سأبحثُ عن
أبي هناك، لقد اعتدتُ أن أجدهُ جالسًا على
الصخرةِ كلما أضعتهُ."

ذهبت حنينُ وقلبُها ينتفضُ كعصفورٍ جريحٍ،
وهي تحاولُ إسكاته ولا تستطيعُ.

صرختُ حنينٌ بصوتٍ عالٍ جدًّا، وأمُّها وأختُها
تركضانِ خلفها، فإذا بها ترى أباهَا جثةً هامدةً
ملقاةً على الأرضِ.

مشهدٌ مروّعٌ.

الكلُّ يبكي ويصيخُ، وأهلُ القريةِ يسارعونَ
بحملِ عمَرَ إلى بيته ليباشروا بإجراءاتِ الدفنِ.

كانت ليلةً عصيبةً على تلكَ العائلةِ الصغيرةِ.
السَّوادُ عمٌّ أيَّامهم بعدَ فراقِ سندِهِم الوحيدِ،
وحنينٌ المسكينةُ بعدَ ذلكَ المشهدِ اعتزلتِ
الحياةَ، وجلستُ في غرفتها حبيسةً الماضيِ.

ورغمَ محاولاتِ أمِّها وأختِها لإخراجِها من
صدمتها، لم تخرجْ سوى إلى النهرِ، ذلكَ النهرُ
الذي أصبحَ جَارَ والدِها بعدَ دفنِهِ.

كُلَّ يَوْمٍ كَانَتْ تَذْهَبُ إِلَى قَبْرِ وَالِدِهَا، وَتَقْصُّ

عَلَيْهِ الْقِصَصَ، وَلَا تَتَكَلَّمُ مَعَ أَحَدٍ أَبَدًا.
كَأَنَّهَا فَارَقَتْ الْجَمِيعَ وَبَقِيَتْ بِجَوَارِ سِنْدِهَا
الْوَحِيدِ.

تَخَلَّتْ عَنِ الْحَيَاةِ الَّتِي بَاتَتْ لَا تَعْنِي لَهَا شَيْئًا
بِدُونِ وَالِدِهَا.
مَرَّتِ الْأَيَّامُ وَحَالُهَا لَمْ يَتَغَيَّرْ.

لَقَدْ كَانَتْ نَهْرًا آخَرَ يَجَاوِزُ قَبْرَ أَبِيهَا.
حَنِينٌ بَاتَتْ قِصَّةٌ تَتَدَاوَلُهَا الْأَجْيَالُ فِي كُلِّ زَمَانٍ،

قِصَّةٌ رَحِيلِ رُوحَيْنِ وَجَسَدٍ،
جَسَدٍ يَمْشِي مِنْ غَيْرِ رُوحٍ،
قِصَّةٌ عَنْوَانُهَا:

"رَحَلَتْ، فَكَيْفَ أَقْوَى عَلَى الْوُقُوفِ بَيْنَ صَفْحَاتِ
الْحَيَاةِ مِنْ بَعْدِكَ؟"

"فوق جفونِ الليلِ "

يتفرَّعُ قلبي دونَ نبضٍ مثلَ وردةٍ جمَّدها
الصَّقيعُ.

يُعانقُ ذكرى القمرِ النَّائمِ على وسادةِ النِّسيانِ
ويبكي.

يتركني واجمةً بدموعي المُتَحجِّرةِ أنتظرُ ما
أجهلُ.

أراقبُ عقاربَ السَّاعةِ لأقرأ ما تبقى لي من
ثوانٍ،

لعلِّي أفكُّ رموزَ الماضي وأستجدي ذاكَ الحدثِ.

لعلِّي أستسلمُ للنومِ العميقِ فيسرقني إليه بحُلُمٍ
أبيض.

فوقَ جفونِ الليلِ

تبكي السماءُ الأرملةُ،

تحملُ الجرحَ القديمَ.

قطة ومشهد...

أجلس أنا وتلك السنين وبضع الأعوام مع
الذكريات وانتظر.

انتظر قدوم اللحظة الحاسمة، انتظر راحة
الراحة والسكون.

يحملني كرسي عجز كجسدي، لكنه دون
تجاعيد أو شقوق عميقة.

وفي قلب المشهد هذا تجلس قطتي كتمثال
بنبض متزن.

تسمع خطوات الموت تقترب مني، فتواسيني
بعدم مبالاتها.

تلك القطة لا تعلم أنني أسمع ما تسمع، ولا تدري
أنني أتشوق للقاء أجلي كشوق الطفل لأمه حين
تغيب.

سأذهب وأترك تعبي يرقد فوق ذاك الكرسي
القديم.

"الخاتمة "

الآن، قد تنفستُ الصُّعْدَاءَ، وأحلتُ وِثاقَ قلمي،
وعادَ الشَّبابُ إلى أناملي.

أتمنى أن تكونَ حروفي بيدقَ حبٍّ بينَ أسوارِ
قلوبكم.

شكرًا لقراءتكم .

الكاتبة : منى قبس دخيل

الإشراف والتنسيق والتدقيق: منى قبس دخيل.

تصميم : أبرار وأحمد عبد الجليل

"نَبْضُ مُتَّزِن"

تراقصت نسماتُ الهواء بين أحبالِ الصّوتية كيد
عازفٍ عتيق يرسمُ لحنًا على وتر العود، فيطربُ
القلوب،

كانت ألحانًا عارية أجسادها من نور .
هرعتُ إليها لألبسها ألواني المُقتبسة من رحمِ
الطبيعة الأمّ فباتت لوحةً ملونةً تتنفسُ الحياةَ
وتنسأُ بخطوطٍ مُتصلة بدايتها من بين أوتاري
ولا آخر لها لأنها تعبرُ زمن الإبداع إلى ما لا نهاية .
بقلمي: منى قبس دخیل.